تصميم الدرس

طرح المشكلة:

I. اللغة من الاستجابة الانفعالية إلى أداة للوعي و التكيف.

I / أ وسائل الاتصال في مملكة الحيوان: الإشارات ≠ اللغة

الوضعية المشكلة و تحليلها:

I / ب التواصل داخل المجتمع البشري / من التكيف إلى الوعي:

I / ج اللغة خاصية إنسانية:

II. اللغة من البنية إلى الوظائف:

عرض الوضعية المشكلة و تحليلها

I / أ البنية / اللغة واللسان والكلام :

I / ب الوظائف / الرمز وأنواع الدلالة :

1 العلاقة بين الألفاظ والأشياء :

2 ثالثا : تبادلية اللغة والفكر:

3 وظائف اللغة:

تطبيق: ــ مقالة فلسفية

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

طرح المشكلة:

تبيّن لنا، أيها الطالب، في تحليل المشكلة السابقة إلى أن الإدراك ظاهرة إنسانية، يتميز بطابعه العقلي وبكونه نشاطاً معقداً يحتاج إلى إسهام بقية الوظائف العقلية الأخرى؛ و سيتضح هذا الحل بصورة أكثر جلاء كلما تقدمنا في حل إشكالية الإدراك العالم الخارجي. و نقف الآن مع إحدى أهم المشكلات التي ترتبط ارتباطا مباشرا بإشكالية إدراك العالم الخارجي. وهي مشكلة اللغة و الفكر/ و التواصل.

إن الإنسان من حيث هو كائن اجتماعي، لابد له من إدراك وسطه الطبيعي و الاجتماعي و التفاعل معهما، و لتحقيق هذا التفاعل يلجأ على جملة من المهارات، يعتبر الكلام إحدى هذه المهارات، و لا تتم مهارة الكلام إلا بفضل اللغة و اللسان.

انتبه أيها الطالب، إن هذه المصطلحات الثلاثة بما بينها من تقارب و تباعد، قد تشوش الفهم إذا نحن لم نبـــادر إلا تمييز بعضـــها عن بعض.

كما أن اللغة تثير مشكلة أخرى، فمن حيث هي أداة للتواصل تساعد البشر على التواصل و تبادل الرسائل و المعلومات، فإنها أيضا سببا في إعاقة التواصل و سوء التفاهم، فاختلاف اللغات فصل بين الجماعات البشرية، لسانيا و ثقافيا.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة (C)

و من جهة ثالثة، أخي الطالب، فإن اللغة أداة يستخدمها البشر في تبادل أفكارهم و نقلها إلى الأجيال اللاحقة و لولاها، لأعاد الجيل اللاحق التفكير في المشكلات التي حلها الجيل الذي سبقه، و من ثم لن يحصل تراكم علمي و ثقافي و لن يحدث تقدم حضاري. فاللغة التي هي أداة الفكر فإنها قد تكون عائقا يمنع التفكير من الإبداع و يشوه الأفكار والمعاني فيخرجها على خلاف ما نشأت عليه في فكر صاحبها.

و تمثل هذه المستويات الثلاث مشكلة اللغة، و سنتقدم في حل هذه المشكلة من خلال التعرض للتساؤل التالي: التالي: ما اللغة؟ هل تنحصر في الأصوات؟ و هل يختزل دورها في تبليغ أفكارنا ومشاعرنا للآخرين؟ و أي دور لها في إدراك موضوعات العالم الخارجي؟

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

I. اللغة من الاستجابة الانفعالية إلى أداة للوعي و التكيف.

I / أ وسائل الاتصال في مملكة الحيوان: الإشارات ≠ اللغة

الوضعية المشكلة:

لنتوقف عند الآيات الكريمات التي يشير فيها القرآن إلى قصة النبي سليمان عليه السلام في سورة النمل قال تعالى : « وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿15﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ **عُلِّمْنَا مَنْطِقَ** الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿16﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿17﴾ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ **قَالَتْ**[1] **نَمْلَةٌ** يَا أَيُّهَا **النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ** لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿18﴾ **فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا** وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿19﴾ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿20﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿21﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ **فَقَالَ أَحَطتُ** بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿22﴾ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ

---

[1] ــ وقال "سيبويه ": يعني بالكلام الجمل كقولك : زيد منطلق وقام زيد ويعني بالقول الألفاظ المفردة التي يبنى الكلام منها كزيد من قولك : زيد منطلق [...] القول في غير الإنسان. من قاموس تاج العروس من جواهر القاموس / لـــ الزَّبيدي.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿23﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿24﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿25﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿26﴾ قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿27﴾»[1] .

تحليل الوضعية:

أيها الطالب، تخبرنا هذه الآيات الكريمة، من خلال قصة " سليمان" عليه السلام مع ملكة "سبأ"، أن الاتصال بين الأفراد داخل الجنس الواحد من أجناس الحيوان حقيقة قائمة. لا ينكرها في أيامنا إلاّ غافل، أو جاهل أو متكبر يأبى سماع الحق الذي يأتي على لسان غيره.

و قد أخبرنا القرآن في سورة الأنعام عن أجناس الحيوان قال تعالى: « **وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ** ﴿38﴾ »[2]، وعلق "السيد قطب" في ظلال القرآن على هذه الآية بقوله: " ولا تكون أمماً حتى تكون لها روابط معينة تحيا بها، ووسائل معينة للتفاهم فيما بينها. وذلك ملحوظ في حياة أنواع كثيرة من الطيور والحيوان والحشرات. ويجتهد علماء هذه الأنواع في إدراك شيء من **لغاتها** ووسائل التفاهم بينها عن طريق الحدس والظن لا عن الجزم واليقين.

---

[1] ــ سورة النمل ، الآيات 15 – 27

[2] ــ سورة الأنعام، الآية 38 .

http://www.onefd.edu.dz
جميع الحقوق محفوظة ©

فأما ما وهبه الله لسليمان عليه السلام فكان شأناً خاصاً به على طريق الخارقة التي تخالف مألوف البشر."

لكن التساؤل الذي تدفعنا الوضعية إلى طرحه أيتواصل الحيوان كما هو الحال في عالم البشر من خلال اللغة ؟ أم أن طبيعة الاتصال في عالم الحيوان تختلف عنها في عالم البشر؟ هل يمكن القول أن للحيوان لغةً لأن جماعات الحيوان مثل المجتمعات البشرية تعيش في جماعات و تتواصل بينها؟

قد تحدث "كارل فون فريش"[1] عن صورة الاتصال في مملكة النحل بحسب ما استقاه من مراقبة خلية شفافة للنحل: حيث تقوم النحلة العائدة إلى الخلية بعد اكتشافها للطعام (الرحيق) بأداء رقصات دائرية ورقصات أخرى تكون الحركات فيها على شكل ثمانية؛ و تكون حركة الأجنحة فيها مصحوبة برعشة متواصلة للبطن، تخبر من خلالها بقية العاملات بمكان وجود الطعام وموضعه وبعده عن الخلية ، مستعينة في ذلك بمعالم منها : موقع الخلية وموضع الشمس، وهذا ما يسمح لبقية العاملات من الوصول إليه بدقة.

ومن هذه الملاحظات، تبدو الرقصات التي تقوم بها النحلة على شكل دوائر و تلك التي تؤديها على شكل ثمانية هي **بمثابة الرسائل الحقيقية** التي عن طريقها يتم إخبار النحلات القائمات على جني حبوب الطلع بمكان الغذاء الذي اكتشفته.

---

[1]- (K.Von Fritsch 1886- 1982) عالم حيوان مجري من أشهر كتبه : حياة وعادات النحل .

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

و قد تسمح هذه الملاحظات – التي سجلها العلم أو تلك التي جاء بها القرآن الكريم و بعض الكتب السماوية الأخرى – للبعض بأن يستنبط أن للحيوان لغة كما أن للإنسان لغة، و ذلك من منطلق أن اللغة ليست سوى جملة الإشارات التي يستخدمها أفراد الجنس الواحد من البشر أو الحيوان في الاتصال و تناقل المعلومات.

لكن مثل هذا الاستنباط قد يكون متسرعا و لا يعبِّر عن الحقيقة؛ و ذلك من عدة وجوه :

1. – إن القرآن عندما يصف الحيوان بالنطق لا يعني بالضرورة، أن للحيوان لغة كلغة الإنسان. خاصة و أن القرآن عندما يتحدث عن "لغة" البشر يستخدم كلمة لسان قال تعالى :" واختلاف ألسنتكم وألوانكم "[1] . و قال جل و علا " وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه"[2]، و قوله تعالى في وصفه للقرآن العظيم " **نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ** (195) "[3] ، و للتعبير عن وسيلة الاتصال في عالم الطير كما تظهره الآيات في سورة النمل يستخدم القرآن الكريم كلمة المنطق، و الحديث النبوي قد استخدم لفظ المنطق في الحديث عن كلام البشر؛ قال صلى الله عليه و سلم: " إذا

---

[1] ــ القرآن الكريم : سورة الروم ؛ الآية 22 .

[2] ــ القرآن الكريم : سورة إبراهيم ؛ الآية 4 .

[3] ــ القرآن الكريم : سورة الشعراء ؛الآيات ، 193، 194، 195 .

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

رأيتم الرجلَ قد أُعْطِيَ زُهْدًا في الدنيا وَقِلَّةَ **مَنْطِقٍ** فاقتربوا منه فإنه يُلَقَّى الْحِكْمَةَ "[1] "وقلة منطق" تعني: عدم الكلام في غير طاعة إلا بقدر الحاجة، كما قال "جلال الدين السيوطي". لكن في مقابل ذلك يبدو أنه لم يصف وسيلة التواصل عند الحيوان بأنها لسان، و **لعلّ** هذا يوحي أن وسيلة التواصل لدى الإنسان و وسيلة الاتصال عند الحيوان تختلفان في الطبيعة.

2. – لم يثبت لدى علماء الحيوان أن أفراد الحيوان تتشىء حوارا بينها فعندما يقوم أحد أفراد الحيوان بإرسال رسالة إلى بقية أفراد جنسه فإن هؤلاء لا يجاوبون على رسالته و إنما يقومون بإنجاز عمل. فعندما قالت نملة أيّها النمل ادخلوا مساكنكم ليحطمنكم سليمان و جنوده و هم لا يشعرون ، فإن القرآن لا يخبرنا أن بقية النمل جاوبها أو علق على ما أخبرت به على نحو ما يحدث في عالم البشر. وكذلك في ملاحظات "فون فريش" فإن النحلات التي تتلقى الإشارات الدالة على الطعام و مكانه لا تدخل في حوار مع "النحلة المستطلعة" و إنما تباشر العمل و تطير إلى المكان المشار إليه. و ربما هذا يعني أن الحيوان يملك جملة من الإشارات الغريزية التي تضن له بقاءه سواء من أجل رد الخطر الذي يهددها أو في طلب الغذاء الذي يبقي حياتها

---

[1] ــ أخرج الحديث ابن ماجه ، وابن سعد ، والطبراني ، وأبو نعيم في الحلية ، والبيهقى في شعب الإيمان ، وابن عساكر عن أبى خلاد . الطبراني ، وأبو نعيم في الحلية ، والبيهقى في شعب الإيمان عن أبى هريرة.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

3. إن العلاقة بين الإشارة (الرقصات) التي تقوم بها النحلة المستطلعة والاستجابة التي تبديها النحلات العاملات و هي الخروج إلى موضع الطعام لا تنبعان من التصور و التفكير ، فهما مجرد ردّ فعل آلي خالٍ من التفكير[1].

وبالتالي نخلص إلى أنّ عالم الحيوان، وإن كان يتواصل باستخدام (رموز وإشارات) لكنّها خالية من الذكاء والتفكير. والملاحظة الثانية هي أنّ التواصل الحيواني خالٍ من (الحوار) ، فالنحلة التي تتلقى المعلومة والرسالة (الإشارة) لا تجيب برقصة أخرى لتعيد إنتاج الرسالة ، بل تقوم بسلوك وهو الطيران إلى الموضع المعلن عنه .

و هذه الوجوه جميعا تثبت شيئا واحدا؛ هو أن الإشارات التي تستخدماها الحيوانات أثناء الاتصال فيما بينها لا ترقى إلى مستوى اللغة الإنسانية. و لهذا فإذا كنا لا نستطيع أن ننكر الحقيقة الظاهرة : وهي أن أفراد الحيوان يتصل بعضهم ببعض داخل الجنس الواحد، فإنَّه من الصعب الإدعاء، أن هذا الاتصال يتم من خلال اللغة،ولكن

---

[1]– نايف خرما ، أضواء على الدراسات اللغوية الحديثة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1978، ص ــ 124، 125 . وهذا ما أثبته (فون فريتش) حينما أخذ عشر نحلات وصعد بها مسافة خمسين متراً على عمود اللاسلكي وأوصلها إلى الغذاء (محلول سكري) وتركها هناك فاكتشفته ، ثم عادت إلى الخلية وشرعت في القيام بالرقصات ، فطار سرب من العاملات نحو العمود ، ولما وصلت إلى الموضع بقيت تحلق حوله أفقياً ولم تطر إحداها عمودياً إلى الأعلى ، لأنّ النحل ببساطة لا يمتلك (إشارة حركية) تخبر بالأعلى أو بما هو(فوق) ، فالزهور لا تنبت في السماء والغيوم بل على الأرض !

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

من الموضوعية والعلم أن نقرّ أن رقصات النحل و أصوات الطير والآثار الكيميائية، للنمل هي إشارات طبيعية تستخدمها هذه الكائنات في الاتصال. لكن حتى تصبح تلك الإشارات لغة بالمعنى الدقيق لكلمة لغة كما هو الحال في لغة الإنسان، فإنّه يجب على تلك الحيوانات أن تكون على وعي بتلك الإشارات و قادرة على تفكيكها و إعادة بنائها كي تؤدي عدد غير محدود من الرسائل.

و قد أشار "ديكارت" (1596- 1650) إلى أهمية الوعي في اللغة الإنسانية قال: " ..إنّك تجد العقعق[1] والببغاء يستطيعان أن ينطقا بعض الألفاظ مثلنا ، ولكنّك لا تجدهما قادرين مثلنا على الكلام ، أعني كلاماً يشهد بأنّهما يعيان ما يقولان " [2]. على ألاّ يفهم من الكلام هنا فقط القدرة على إنشاء أصوات ونطقها، بل يقصد التعبير[3]. وهو الذي جعل أبا الفلسفة الحديثة يعتبر اللغة، من حيث أنها ملكة تأليف الكلام وترتيب الألفاظ المختلفة يعبر بها عن المعاني العقلية التي يعجّ بها الفكر، فيصلاً

---

[1] ــ طائر من فصيلة الإوز يشبه الهدهد له منقار طويل .

[2] René Descartes, discours de la méthode, imprimé en union européenne, 1996. , p 74

[3] ــ ويؤكد صحة ما ذهب إليه ديكارت قصة الأمريكية هيلين كيلر(Helen Adams Keller 1880 – 1968) ، وهي فتاة ولدت عمياء و صماء و بكماء ومع ذلك تمكنت من تعلم لغة خاصة تستخدم فيها حركات الأصابع ، وتفهم الآخرين من خلال استعمال حاسة اللمس ، واستطاعت أن تتغلب على إعاقتها ؛ فلم يمنعها الصمم والعمى والخرس من التواصل مع الغير ، بل صارت ، وهي الأديبة والمحاضرة والناشطة الأمريكية ، إحدى رموز الإرادة الإنسانية الفذّة .

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

يميز بين الإنسان والحيوان، فلا يدخل في ذلك ما يصدره الحيوان من أصوات ومقاطع صوتية لأنّها لا تعبر عن فكر ولا يسبقها تفكير، بل هي انعكاس شرطي لبيئته الطبيعية وطبيعته الحيوانية العجماء.

الخلاصة:

– إن التعبير لدى الحيوان فطري وراثي ، وهذا ما يجعله مرتبطا بالغريزة حيث أنّه ينطلق منها ويعبّر عنها ولا يتجاوزها ؛ لذا لا يستطيع الحيوان أن يغيره لأنه جزء من موروثه البيولوجي .

– إن الحيوان مُعدٌّ للتعبير عن بعض الحالات الطبيعية المرتبطة بالحياة وحفظ البقاء، فمثلاً موضوع الرسالة في رقصات النحل ينحصر في مكان وجود الطعام وبُعده عن الخلية فقط، لذا فلغة الحيوان لا تعدو أن تكون نظاماً إشارياً مغلقاً وبدائياً، والنحلة – كما رأينا– التي تخبر بموضع الطعام وبُعده عن الخلية لا تخبر عن كميته ونوعيته.[1]

– كما أنّ شكل الاتصال عند الحيوانات كما قال"دونالد هب" [2] يندرج ضمن الأساليب المنعكسة ؛ وهي نماذج نمطية توصل معلومات لكن بطريقة غير إرادية وخالية من القصد [1].

---

[1]– جمعة سيد يوسف ، سيكولوجيا اللغة ، مجلس الثقافة والفنون والأدب ، الكويت ، 90 ، ص ــ 12.

[2]– " دونالد أولدنغ هب" (D.Hepp 1904– 1985) عالم نفساني مختص في الفيزيزيولوجيا العصبية ، أهم إنجازاته هو محاولة فهم وظيفة المشبك العصبي والعصبونات

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

– بالإضافة إلى أنّ الإشارة أو الرسالة التي يرسلها الحيوان لا يمكن تحليلها وتفكيكها وتجزئتها، فالمسافة والموضع يتجليان في رقصة النحلة ولا ينفكّان عنها على النقيض من الكلمات التي يستخدمها الإنسان والتي يمكن أن تُفكّك وتُستخدم للإشارة إلى أشياء أخرى .

I / ب التواصل داخل المجتمع البشري / من التكيف إلى الوعي:

اللغة و التواصل

على خلاف الحيوان يستطيع الإنسان التعبيّر عن أفكاره وأحواله النفسية بطريقتين: التواصل بالإشارات الطبيعية وبالإشارات التواضعية.

أ. **الإشارات الطبيعية** : وهي التي لا تحتاج إلى تعلم ؛ لأنّ للإنسان ملكة فطرية تساعده على فهمها ، وإن كانت تخبر بشيء حاضر أو غائب ظاهر أو خفي، إلاّ أنّها مجرد انعكاس لمنبه داخلي أو خارجي ، وقراءتها تعتمد على مبدأ العلية (السببية) الأمر الذي قد يكون سبباً للخطأ. فالإشارات الطبيعية من تبسم وبشاشة وجه ، أو عبوس وصراخ وبكاء ، تعتبر عند اللغويين علامات طبيعية أي "..حادث مُدْرك بالحواس ، ينقل

ودورها في العمليات الفيزيزلزجية العصبية مثل التعلم مما يجعله الأب المؤسس للفزيولوجيا العصبية وعلم الشبكات العصبونية .

[1]– لندال دافيدوف ، مدخل علم النفس ، ت/ سيد الطواب وآخرون، ماكجروهيل للنشر، ط 2، ص، 405 .

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

الذهن إلى تصور حادث آخر غير مدرك أو غير ممكن الإدراك [عن طريق الحواس] "[1]، فنحن نفسر التبسم وبشاشة الوجه على أنّه علامة على السرور والفرح والرضا ، بينما يعني الصراخ والبكاء التألم والحزن . **فبالرغم من كونهما علامتين تشيران وتحملان معنى غير ظاهر ، إلاّ أنّ ذلك لا يبرر اعتبارهما علامتين لغويتين ، وسبب ذلك أن التبسم والضحك أو الصراخ والبكاء علامات غير قابلة للتحليل والتفكيك، أي أنها كتلة واحدة لا تتجزأ** ، ولو حاولنا تفكيكها فقدت قدرتها على الدلالة فلا تصير ذات معنى، فالصوت (أيْ) لو جزء إلى : (أ) و (يْ) ، لما فهما منه أنه يشير إلى الألم . كما أنّهما رد فعل آلي لمثير داخلي أو خارجي ؛ فهما أقرب إلى كونهما سلوكا من كونهما علامتين لغويتين .

ب.الإشارات الاصطلاحية : هي نسق من الرموز الاتفاقية المكتسبة بالتعلم . وهذه الرموز والإشارات يتواضع عليها البشر ويتفاهمون من خلالها ولا نجد لها مثيلاً في عالم الحيوان الأمر الذي يبرر حصر اللغة في الإنسان خاصة إذا تعلق الأمر بـــ(الكلام). أما الإشارات الاصطلاحية الواردة في الجملتين (أنا فرح ومسرور) أو (أنا حزين وأتألم)، فيسميهما اللغويون علامات لغوية وسبب ذلك أنّها علامات صوتية رمزية ، إذ لا يوجد ترابط طبيعي بين كلمة (مسرور) والحالة النفسية التي أشعر بها ، عكس ما هو عليه الحال في الإشارة الطبيعية

---

[1] ــ جميل صليبا ، علم النفس ، ص ــ 504 . دار الكتاب اللبناني ، ط 2 ، بيروت ، 1981.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

التي ترتبط بما تشير وتدلّ عليه مثلاً : الدخان لا ينفكّ عن النار بل يشير إليها. كما أنّ كل كلمة وردت في الجملتين السابقتين يمكن أن توظف في جملة أخرى مثال ذلك (أنا) يمكن أن أوظفها في جملة أخرى فأقول: (أنا تلميذ في السنة الثالثة ثانوي) . ثم أن الجملة (أنا فرح ومسرور) تقبل التفكيك إلى وحدات صوتية دنيا (أقل) لكلّ وحدة صورة صوتية خاصة ومعنى خاص؛ فلو فككناها إلى ما يلي : (أنا) ، (فرح) ، (و) ، (مسرور) نلاحظ أنّ كلّ وحدة قابلة للانفكاك عن المجموع ويمكن أن توظف في جمل أخرى لتؤدي معانٍ مختلفة .

الخلاصة:

ممّا سبق يمكن أن نستنتج أن الإشارات الاصطلاحية هي الوحدة الأساسية في اللغة؛ ومن هذا المنطلق تكون اللغة خاصية إنسانية و من ثم فإن الحيوانات لا تمتلك (لغة) بالمعنى الدقيق للكلمة ؛ و القول بوجود لغة عند الحيوان إنما هو توسع و مجاز، لأن اللغة لدى الإنسان ليست مجرد تعبيرات انفعالية فطرية ، بل تتجاوز ذلك إلى اصطناع الإشارات الاصطلاحية المتفق عليها بالتواضع والترميز .

I / ج اللغة خاصية إنسانية:

قد يتبادر للذهن عند مقابلة لغة الإنسان بأساليب الاتصال في عالم الحيوان أنّ الفرق الكمي هو الذي يميز لغة الإنسان عن الإشارات التي يستخدمها الحيوان – حيث أحصى العلماء 35 صوتا للتواصل عند قردة "الشمبانزي" و أقل من ذلك في غيرها، أما لدى البشر

فهي تتجاوز ذلك بعدة أضعاف– لكن الفرق الأساسي هو كيفي؛ أي في طبيعة الرموز اللسانية لدى البشر و طبيعة الإشارات لدى الحيوان. وهذا ما جعل "جورج غسدورف" [1] يعتبر اللغة كلمة السر التي تُدخِل الطفل العالم الإنساني مستثمراً التجربة التي قام بها بعض علماء النفس بين طفل وقرد صغير، حيث لاحظ العلماء تشابه الاستجابات وتساوي القدرة على المنافسة. لكن الفارق سرعان ما بدأ في الظهور وتعمق بعد أن تعلم الطفل اللّغة، بينما بقي القرد حبيس المحيط الطبيعي وعالم الغريزة؛"فالحدّ الذي يفصل بينهما هنا فصلاً مطلقاً هو عتبة اللغة"[2]. ولا يتوقف الأمر عند حدود هذا الاستنتاج، بل أن ذلك يفنّد الطابع المادي للغة ، الذي يروّج له بعض الأطباء وعلماء التشريح؛ فالشروط العضوية من دماغ وحبال صوتية ولسان وتجاويف أنفية وفموية تقوم بالأساس بوظائف حيوية عضوية : إذ اللّسان موضوع للتذوق بينما استخدامه في الكلام يعتبر وظيفة ثانوية، بل أن " الكلام يبدو أنّه وظيفة لا عضو لها خاصاً بها "[3]، ومن هنا فالشروط العضوية لا تنتج اللغة لأنّ وظيفة الكلام في جوهرها ليست وظيفة عضوية بل هي وظيفة ذهنية وروحية "[4].

---

[1]ــ فيلسوف ومؤرخ فرنسي (G.Gusdorf ولد عام 1912) ، من أهم مؤلفاته : كتاب (الكلام) .

[2] - G-Gusdorf : la parole; P U F, (I. ph), paris, 1966, p 2- 6 -

[3]– Ibid., p 2-6.

[4]– Ibid., p 2-6.

http://www.onefd.edu.dz © جميع الحقوق محفوظة

ولعلّ المقارنة بين لغة الإنسان وما يطلق عليه مجازاً (لغة الحيوان) كفيلة بإثبات صحة هذا الطرح من حيث أن لغة الإنسان تتميّز بخصائص تنفرد بها ، أهمها :

- إذا كان الإنسان يملك استعدادا وراثيا لتعلم اللغة، فإن لغته التي يستخدمها في التعبير عن الأفكار و المشاعر مكتسبة و ليست موروثةً، بل هي ميراث اجتماعي _ ثقافي يتغير عبر التاريخ ، عكس تعبيرات الحيوان الجامدة المتصلبة .

– يرتبط وجودها عند الإنسان بالعقل، و دونه تكون مجرد ضوضاء خالية من المعنى.

– للغة الإنسان مستويان:

أ. **المستوى الصوتي**: ويتمثل في الأصوات التي نصدرها أثناء الكلام حيث **تتآلف الأصوات في مقاطع لتصير كلمات محددة ذات معنى** .

ب. **المستوى التركيبي : اللغة عند الإنسان قابلة للتركيب والتحليل و إعادة التركيب** و ذلك لكونها تتألف من ألفاظ و جملة تنتظم وفق قواعد النحو و الصرف حتى تكون قادرة على تبليغ المعنى المراد، و بفضل خاصية التحليل و التركيب اكتسبت مرونة تمكنها من تبليغ ما لا نهاية له من المعاني.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

- **تساعد الإنسان على التحرر من قيد الزمان و المكان**

فهي ليست مرتبطة باللحظة الراهنة فقط، بل تمكن الإنسان من الإخبار عن الماضي و الحديث عن المستقبل و استحضار الغائب في شعور المتكلم أو السامع؛ و الإشارة إلى الموضوعات الماثلة أمام الإدراك ، ليس هذا فحسب؛ بل و لها القدرة على التعبير عن التصورات و القيم المجردة زيادة على قدرتها على التعبير الموضوعات المادية.

- **و هي قابلة للتداول**؛ إنها تكتسب بالتعلم والمحاكاة، وتنتقل من جيل إلى جيل. و يمكن للفرد أن يتعلم عدد من اللغات غير لغته، فالعربي بإمكانه أن يتعلم لغة الفرنسي والعكس ، بينما هذا غير ممكن في عالم الحيوان فالنحلة لا يمكنها أن تتعلم لغة غيرها .

- **واللغة عند الإنسان ترتبط بالإبداعية**: أي من خلال عدد محدود من الكلمات و الأصوات يستطيع الإنسان أن ينشأ عدد لا محدود من الكلمات و الجمل و التي يستطيع استخدامها في التعبير عن عدد لا محدود من الأفكار.

- **كما تتسع لغة الإنسان للتعبير عن خبراته المختلفة** :

من التصورات العقلية إلى القيم الجمالية والمعاني النفسية على خلاف لغة الحيوان التي لا تتعدى حاجاته البيولوجية الغريزية ، أو الانفعالات الأولية من لذة وألم .

- **واللغة عند الإنسان ترتبط بالإرادة** ، فالإنسان يستعمل الإشارات والرموز بوعي و ينتقي من الألفاظ ما يحقق له أغراضه على النحو الذي يريده.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

– إن لغة الإنسان لا تساعده على التعبير و الإظهار فحسب، بل و لها القدرة على الإخفاء و التحايل و التلبيس و الكذب

و كذلك يستخدمها في التفخيم والتبخيس والثناء والتأنيب والمدح والذم والإغراء والمراوغة والجد والعبث ولا تستطيع إشارات الحيوان أن تفعل من ذلك شيئا.

الخلاصة:

و مما تقدم يمكن القول أن اللغة خاصية الإنسان لا يشاركه فيها، الحيوان وذلك لكونها تتصف بالمرونة والقابلية للتداول وترتبط بالفكر و الإرادة و تستخدم في التعبير والإخفاء والتحايل والكذب والإغراء والعبث....في الجملة تستخدم في مختلف مناحي الحياة الإنسانية و لهذا يصح اعتبارها خاصية معبرة عن ماهية الإنسان. لذا يصحّ أن يقال عن الإنسان : " **إنّه حيوان ناطق** ". فيكون النطق هو الفصل النوعي[1] الذي يميز الإنسان عن غيره من الحيوان الأعجم.

جميع الحقوق محفوظة ©
http://www.onefd.edu.dz

[1]- أنظر الكليات الخمس في مشكلة انطباق الفكر مع نفسه

II. اللغة من البنية إلى الوظائف:

• عرض وضعية :

1. ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ **كَلَامَ** اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[1] ؛

2. ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ **كَلَامَ** اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[2] ؛

3. ﴿ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا **كَلَامَ** اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[3] ؛

4. ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا **كَلَّمَهُ** قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾[4] ؛

5. ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا **تُكَلِّمَ** النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾[5] ؛

6. ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ **تُكَلِّمُ** النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ

---

[1] ــ قرآن كريم : سورة البقرة ؛ الآية 75 .

[2] ــ قرآن كريم : سورة التوبة ؛ الآية 6 .

[3] ــ قرآن كريم : سورة الفتح ؛ الآية 15 .

[4] ــ قرآن كريم : سورة يوسف ؛الآية 54.

[5] ــ قرآن كريم : سورة آل عمران؛ الآية 41.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾[1] ؛

7. ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا **تَكَلَّمُ** نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾[2] ؛

8. ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا **تُكَلِّمَ** النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾[3]؛

9. ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى **لِسَانِ** دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾[4] ؛

10. ﴿ و وَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ **لِسَانَ** صِدْقٍ عَلِيًّا﴾[5]؛

11. ﴿ وَاجْعَلْ لِي **لِسَانَ** صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴾[6] ؛

12. ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ **لِسَانُ** الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾[7] ؛

---

[1] ــ قرآن كريم : سورة المائدة ؛ الآية 110.

[2] ــ قرآن كريم : سورة هود ؛الآية 105.

[3] ــ قرآن كريم : سورة مريم ؛الآية 10.

[4] ــ قرآن كريم : سورة المائدة ؛ الآية 78.

[5] ــ قرآن كريم : سورة مريم ؛ الآية 50.

[6] ــ قرآن كريم : سورة الشعراء ؛ الآية 84.

[7] ــ قرآن كريم : سورة النحل ؛ الآية 103.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

13. ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا **بِلِسَانِ** قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[1] ؛

14. ﴿ **بِلِسَانٍ** عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾[2] .

تحليل الوضعية

إن استقراء مادة: كلام و كلمه و تكلم في الآيات السابقة يدل على أنها جاءت بمعنى الخطاب، فكلام الله هو خطابه للناس، و كلمه بمعنى خاطبه، و تُكلم الناس أي تُخاطبهم، و لفظ الكلام كالخطاب تماما، يشير إلى فعل التكلم و المخاطبة، و نقل رسالة إلى من نكلمهم. أما مادة لسان فقد وردت في القرآن بمعاني مختلفة، ما جاء في سورة المائدة " لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ..."؛ أي بدعاء داود، وهو يفيد معنى الكلام، و ما جاء في سورتي مريم و الشعراء " لسان صدق عليا" و لسان صدق في الآخرين" بمعنى الثناء الحسن و هنا أيضا وردت مادة اللسان بمعنى الكلام، أما في باقي الآيات الواردة في سور النحل الآية 103 و إبراهيم الآية 4 الشعراء الآية 195 فقد جاءت بمعنى اللغة. و من جهة أخرى تستخدم كلمة اللغة في بعض التعبيرات المعاصرة للدلالة على نظام من الرموز غير ما يستخدم في اللغة الإنسانية فيقال: لغة الرياضيات و لغة الكمبيوتر...و هذا يعني أن اللغة تستخدم أيضا بمعنى يختلف عما تدل عليه لفظتي الكلام و اللسان، و هذا يدفعنا للتساؤل

---

[1] ــ قرآن كريم : سورة إبراهيم ؛ الآية 4.

[2] ــ قرآن كريم : سورة الشعراء ؛ الآية 195

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

II / أ البنية / اللغة و اللسان و الكلام:

1. خصائص اللغة :

اللغة هي نسق من الرموز و الإشارات التي يستخدمها الإنسان في التواصل و التعبير و التبليغ، و قد يستخدمها في الترويح والمتعة و العبث. و بهذا فهي تبدو على قدر كبير من التعقيد، بسبب تنوع مكوناتها و تعدد وظائفها.

- **اللغة خاصية إنسانية:**

اللغة من حيث هي أداة تفكير و تواصل و تعبير و تبليغ ترتبط بالقدرات العقلية المختلفة ، فألفاظ اللغة تختزن و تستعاد من الذاكرة ، ومن حيث أن هذه الألفاظ تدل على معاني فإنها تستدعي إدراك و ذكاء و تخيل يساعدون على توقع المعنى المقصود من اللفظ، خاصة أثناء الكلام عندما يقوم المتكلم بتحليل و إعادة تركيب ألفاظ اللغة. **وارتباط اللغة بالقدرات العقلية يجعل منها خاصية إنسانية**

- **اللغة نظام من الرموز و الإشارات:**

إن ألفاظ اللغة أو ما يحل محلها كالحركات و الإشارات وضعت كي تدل على أشياء أخرى، لا لتدل على نفسها، **فكلمة " بحر" لا تدل على الحروف التي يتألف منها اللفظ (ب،ح،ر) و لا على مجموع اللفظ (بحر)، وإنما هي رمز يدل على شيء(هو المعنى) خارج عنها وغائب في الوقت نفسه**، و عندما تدل عليه فإنها تستحضره في الشعور،

http://www.onefd.edu.dz © جميع الحقوق محفوظة

و كذلك الحال مع الحركات فهذه الحركة التي يقوم بها المسلم

هي إشارة تدل على الشهادة، و تعبر عن صميم التوحيد عنده.

واللغة لا تقوم بوظيفتها التبليغية و التواصلية إلا إذا انتظمت رموزها و إشارتها في نسق تنظمه قواعد هذه اللغة، و على أساس قواعد اللغة و السياق الذي تنتظم فيه الكلمة يتحدد معنى اللفظ. **فالإشارة بالسبابة إلى الأعلى** لا تفهم إلاّ في سياق ثقافي ــ اجتماعي ،هو الثقافة الإسلامية، و كذلك عندما نقول "إننا قمنا بزيارة إلى شاطئ البحر"، و نقول في عبارة أخرى "ابن خلدون بحر العلوم" لفظة بحر في العبارتين تدل على معنيين مختلفين بحسب السياق الذي وردت فيه في النص. وكذلك عندما نقول " أكل عصام (بضم الميم) الحوت (بفتح التاء)" ونقول" أكل عصام (بفتح الميم) الحوت(بضم الميم) " فإن المعنى في الجملتين يختلف، وسبب اختلافه هي الحركة الإعرابية للألفاظ، أي أن المعنى تحدد بناء على قواعد النحو. و دون هذه السياقات وهذه القواعد تتوقف اللغة عن القيام بوظيفتها التواصلية، أو على الأقل تصبح صعبة للغاية.

و اللغة " كيان عام يضم النشاط اللغوي الإنساني ويشمل كل ما هو منطوق أو مكتوب أو إشارة أو اصطلاح "[1]، والعلامات إشارة كانت أو رمزاً، صوتاً أو صورة ، رسماً أو حركة ؛ عندما نتفق على المعنى الذي تحمله ونتعامل بها كذلك تصير علامة لغوية يشار بها

[1] ــ عبد الصبور شاهين ، في علم اللغة العام ، ص ــ 29 .

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

ويفهم منها رسالة معينة، الأمر الذي يوسع معنى اللغة " .. كنظام من العلامات الاصطلاحية ذات الدلالة الاصطلاحية " [1].

- **اللغة أشمل من اللسان و الكلام**

إننا نستخدم اللغة هنا بمعنى أكثر اتساعا و أكثر تجريدا ممّا يستخدم عادة، فهي أكثر تجريدا لأن مصطلح اللغة لا يشير إلى واقع أي إلى لغة معينة، فإذا حددنا نوع اللغة فقلنا أنها لغة عربية أو فرنسية أو غيرهما من لغات العالم نكون قد انتقلنا من المجرد إلى المحسوس، و من المفهوم إلى الماصدق. و هي أكثر اتساعا **لأنها بمثابة الجنس للسان**، أي أن اللغة تحتوى على ألسن، لسان عربي و لسان فرنسي، و لسان ألماني و هكذا... لكن اللسان لا يحتوي على لغات، وعندما نقول اللغة العربيـــة و اللغة و الفرنسية و اللغة الألمانية و غيرها فنحن في الحقيقة نكون قد استخدمنا العام للدلالة على الخاص، مثل قولنا الحيوان الناطق للدلالة على الإنسان، فالحيوان جنس الأحياء و الإنسان أحد أنواعه. **و الكلام أخص منهما لأنه يرتبط بالفرد و اللسان يرتبط بالمجتمع و اللغة ترتبط بالإنسانية.**

2. خصائص اللسان :

اللسان في الأصل يدل على العضو الذي يستخدمه الإنسان لتقليب الطعام في فمه كما يستخدمه في الكلام، و بهذا المعنى يرتبط اللسان بالكلام أكثر من ارتباطه باللغة. لكنه في اصطلاح اللغويين أخذ

---

[1] ــ المصدر نفسه ، ص ــ 27 .

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

معنى مخالفا تماما، **فهو يدل عندهم على اللغة التي يستخدمها مجتمع محدد، فاللّسان إذن يطلق على لغة محدّدة تتكلم بها جماعة معينة من النّاس**، ضمن قواعد وقوانين مضبوطة، فاللسان له وجود اجتماعي مستقل عن الأفراد الذين يتكلمونه، ومن هذا فاللّسان أخص من اللغة و من ثم **يمكن النظر للغة على أنها جنس و اللسان نوعها و الخاصية الاجتماعية فصلها** و بهذا تكون اللغة الإنسانية واحدة في جنسها متعددة في أنواعها: مثال ذلك الحديث عن اللسان العربي[1] في مقابل اللسان الفرنسي و الأماني ...إلخ. أمّا اللغة فتطلق على النشاط اللغوي الإنساني في أي لسان كان (سواء كان رمزاً صوتياً أو مكتوباً أو إشارة أو اصطلاحا)[2]. **و لما كان اللسان نوعا في اللغة فهو يحمل خصائصه ما عدا خاصية الاتساع والشمول.**

- **اللسان يرتبط بالمجتمع :**

اللّسان هو اللغة منظوراً إليها في سياقها الاجتماعي والزماني والمكاني، ويعني هذا ؛ الموروث اللفظي من مفردات وكلمات، والقواعد النحوية والصرفية الضابطة لهذه اللغة، فاللّسان قد يختلف في اللغة الواحدة نظراً لتأثير عوامل خارجة عن اللغة كالجغرافيا والنظام الاجتماعي واختلاط المجتمع بغيره من المجتمعات.

---

[1] ــ جاء في (لسان العرب) : « اللّسان : جارحة الكلام... قال ابن بري : اللسان هو الرسالة والمقالة . ويذكر بمعنى الكلام ويراد باللسان اللغة » . (ابن منظور، لسان العرب ، ج 13، ص ــ 385) .

[2] ــ عبد الصابور شاهين ، في علم اللغة العام ، ص ــ 29 .

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

– **فاللسان هو اللغة التي تستخدمها جماعة متميزة، في التعبير والتواصل**. و بهذا يكون اللسان أقل تجريدا من اللغة. و من جهة أخرى يختلف اللسان عن الكلام في كونه يرتبط بالجماعة، فاللسان تمارسه الجماعة، و ليس هناك لسان خاص بالفرد _ اللهم إلاّ إذا قصدنا باللسان العضو الذي هو داخل الفم، و ليس هو المقصود في مشكلتنا _ أما الكلام فهو ممارسة فردية.

– فقد وُجد اللسان في الأصل للقيام بوظائف اجتماعية كالتبليغ و التواصل و التعبير، و لهذا لزم أن يكون قاسما مشتركا بين أفراد الجماعة الواحدة. و يقوم اللسان من حيث هو لغة كما تمارسها الجماعة بوظيفة مزدوجة على المستوى الاجتماعي، فهو من جهة أداة **جمع و توحيد، إذ بفضلها تكتسب الجماعة (الأمة) كيانا و هوية ويترابط أفرادها عضويا بفضل هذه الهوية**، و من جهة أخرى يكون أداة تمييز و فصل،إذ بفضل هذا اللسان ذاتها تتميز هذه الجماعة أو تلك عن بقية الجماعات (الأمم)، فاللسان إذن هو الذي ينشئ قرابة معنوية بين أفراد الجماعة الواحدة، و هي الذي يقطع هذه القرابة بين الجماعات المتباينة لغويا.

3. خصائص الكلام و شروطه :

الكلام هو الممارسة الفردية المنطوقة[1] [للسان]، و بهذا فإن الكلام يجسد اللغة و اللسان و ينقلهما من حالة التجريد إلى صورة حسية،

---

[1] ــ عبد الصبور شاهين ، في علم اللغة العام ، ص ــ 29 ، نقلا عن : F. de Saussure : cours de linguistique générale

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

وينقلها من الإمكان إلى الوجود الواقعي. و إذا كان المتكلون باللسان العربي يشتركون في الألفاظ، فإنهم يختلفون في الكلام و أسلوبه و فنون إخراج ألفاظه، فيكون منه الجميل المستحسن و القبيح المستهجن، رغم أن مادة الكلام واحدة هي ألفاظ اللغة في هذا اللسان.

و الكلام من حيث هو ممارسة فإنه فعل لا يخلو من قصد، وليس في اللغة و اللسان قصد[1]. و لأن الكلام قصد و توجه فهو الوسيلة المباشرة للتواصل، أما اللغة و اللسان فلا يحققان التواصل إلا من خلال الكلام أو ما يحل محله (كالكتابة أو إشارات الصم البكم). و إذا كانت هذه خصائص الكلام، فإنه من حيث هو فعل لا يتم إلا بشرط.

شروط الكلام:

- وجود لغة محدّدة (كالعربية أو غيرها) .

---

[1]- القصد: في اللغة هو الاعتزام و التوجه نحو الشيء و هو العدل و استقامة الطريق والتوسط بين الإفراط و التفريط . و هذه المعاني جميعا واردة إذ يوصف بها الكلام و لا يُوصف بها اللسان و اللغة. ففي الكلام قصد لأن المتكلم يعزم على نقل خبر إلى ...أو طلب أمر من ...و ربما يكلم نفسه للترويح عنها و في هذا كله توجه إلى الآخر أو إلى الذات، و اللغة و اللسان لا يتوجهان إلى شيء إلا إذا تضمنهما الكلام، و الكلام قد يوصف بالاستقامة إذا لم يكن فيه انحراف عن الحق و الصواب، و يوصف بالتوسط إذا لم يكن فيه إطناب أو إخلال، و بهذا يكون الكلام قصد بك معانيه و ليس في اللغة و اللسان شيء من ذلك.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

– وجود قدرة على التعبير ، عن شيء مادي كان أم معنوي، بنية التبليغ والتواصل والتفاهم بحيث يسبق ذلك تفكير وإرادة ، وقصد إلى غاية محددة ، لا أن يكون التعبير ردّ فعل آلي خال من القصد ، كما هو الحال في عالم الحيوانات .

– القدرة على الكلام من خلال شروط نفسية كالسلامة من الاضطرابات العقلية المعيقة لإمكانية التكلم كمرض (الحبسة اللفظية) والذي يؤدي إلى صعوبة استدعاء الكلمات في القول أو الكتابة فيختل التركيب[1]، وشروط عضوية مثل سلامة أجهزة إصدار الكلام من حنجرة وحبال صوتية ورئتين ولسان وتجاويف فموية وأنفية بالإضافة إلى سلامة الدماغ.

– الإلمام بالمفردات والكلمات وقواعد التراكيب اللغوية والنحوية والصرفية ، لكي لا يختل بناء الجمل في الكلام ويفقد بذلك دلالته

مما تقدّم يمكن أن نتبيّن نقاط الالتقاء بين اللغة واللسان والكلام فيما يلي :

– فاللغة هي الإطار العام الذي يشمل الكلام واللسان معاً .

– الكلام كفعل فردي لا يتم إلاّ باللغة واللّسان (لا يقصد هنا باللسان الجارحة) .

---

[1]– يوسف مراد ، مبادئ علم النفس العام ، دار المعارف ، ط 8 ، ص ــ 312 .

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

- اللّسان هو اللغة التي تستعملها جماعة لغوية محددة (اجتماعياً وتاريخياً وجغرافيا).

الخلاصة:

ومن هذا يتضح أن التمايز بين اللغة واللسان والكلام لا يعني الانفصال، بل على خلاف ذلك أن بينها اتصال شديد. إن العلاقة التي تجمعهم هي علاقة شمول واحتواء و يمكن تمثيل ذلك في الشكل التالي:

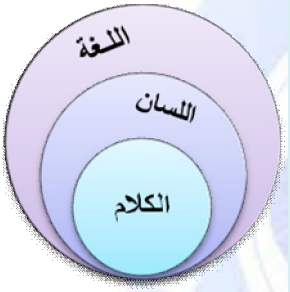

ومع ذلك يمكن التمييز بينهم على النحو الآتي :

- اللغة تختلف عن الكلام في كونها واقعة اجتماعية ثابتة بينما الكلام عمل فردي متغير.
- اللغة نتاج يرثه الفرد بينما الكلام عمل إرادي قصدي يقوم به الفرد و يتطلب قدرات خاصة.
- اللغة تمثل الجانب الاجتماعي من الكلام ، لذا فهو غير قادر على تعديلها وتغييرها الأمر الذي يبرر دراستها مستقلة عنه [1].
- اللغة أعمّ من اللّسان لأنّه مرتبط بظروف مكانية و زمانية لجماعة لغوية معيّنة دون غيرها .

[1]- جمعة سيد يوسف ، سيكولوجيا اللغة والمرض العقلي ، ص ــ45 .

جميع الحقوق محفوظة © http://www.onefd.edu.dz

بنية الكلام / يتألف الكلام من:

أ. الفونيمات (Phonème) : وهي الأصوات الأساسية أو الوحدات الصوتية الأساسية غير الدالة (لا تحمل معنى) والتي يتكون منها الكلام .

ب. المورفيمات (Morphème) : وهي ما ينتج عن ضم الأصوات الأساسية إلى وحدات لها معنى في بداية الكلمة ونهايتها .

ومن الفونيمات و المورفيمات يكوّن الإنسان تركيبات لانهائية من الرموز والكلمات ، لها دلالات متعدّدة حسب سياقها تسمح للإنسان بالتعبير عن كل شيء . وهذا ما جعل أندري مارتيني[1] يعتبر أنّ جوهر اللغة الإنسانية هو قابليتها للتفكيك وإعادة التركيب، وهذا ما يطلق عليه اللغويون (التمفصل) ؛ ويقصد به أنّ اللغة قابلة للفصل والوصل بين عناصرها اللغوية (الفونيمات والمورفيمات)، فاللغة تنقسم إلى سلسلة كلامية تتفك بدورها إلى وحدات .

الخلاصة:

من الناحية الصوتية يعتبر الكلام نشاطا مركبا من عدد محدود من الفونيمات و المورفيمات (وحدات صوتية أساسية خالية من المعنى)، وبالتأليف بينها يُنشأ الإنسان عدد لا نهائي من الرموز

[1] – (A.Martinet 1908 – 1999) لغوي فرنسي وباحث ضليع في علم اللغة .

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة

والعلامات اللسانية (أصوات ذات معنى) والتي بدورها تعطي عدد لا نهائي من المعاني والدلالات بحسب السياق.

II / ب الوظائف / الرمز وأنواع الدلالة :

إن **الرمز** عند هيغل (1770– 1831) علامة تحوي خصائص وصفات ما تدل عليه ، بحيث أنّ هذا الرمز يستدعي ويحضر للشعور والوعي الدلالة والمعنى اللذان نقصد لتبليغهما ، فالأشياء والعلامات التي نرمز بها لا تعبر وتخبر فقط عن نفسها بل تحوي الخاصية العامة للشيء أو المعنى الذي ترمز له [1]. وعرّف علماء الدلالة الرمز بأنّه ".. مثير بديل يستدعي لنفسه نفس الاستجابة التي قد يستدعيها شيء آخر عند حضوره " [2]، وقسموه إلى قسمين :

– **الرمز اللغوي** : فالكلمات (المنطوقة أو المكتوبة) أخص أنواع الرموز اللغوية حيث أنّها لا تشير لنفسها بل لأشياء أخرى غيرها .

– **الرمز غير اللغوي:** ومثال ذلك الجرس في تجربة "بافلوف" ، حيث أنّه (أي صوت الجرس) يستدعي شيئا غير نفسه، فالكلب عند سماعه للجرس يتوجّه إلى مكان الطعام.

---

[1]- F.Hegel ; esthétique; traduction : J G aubier, t 2, 1944, p 13 -14.

[2]– أحمد مختار عمر، علم الدلالة ، ص ــ 12 . ولقد تنبه علماء اللغة إلى أنّ كل نشاط يقوم به الإنسان يمكن أن يكون نشاطاً لغوياً، وهذا ما يبرر ظهور (علم الرموز: Sémiotique) الذي يعني الدراسة العلمية للرموز اللغوية وغير اللغوية باعتبارها أدوات اتصال، و(علم الدلالة : Sémantique) وهو العلم الذي يدرس الرموز اللغوية فقط.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

أما **العلامة اللغوية** فهي "..وحدة أساسية في عملية التواصل بين أفراد مجتمع معين وتنقسم إلى : دال ومدلول ، فالدال : هو الصورة السمعية (البصمة النفسية للصوت) التي تعني شيئا ما وتدل عليه . أما المدلول : فهو التصور الذهني للشيء المعني "[1]؛ والمقصود بالعلامة اللغوية كل ما يصح اعتباره علامة قابلة للتأويل وتدل على شيء آخر غيرها ، وأخص هذه العلامات الكلمات مسموعةً أو مكتوبةً، ".. فالعلامة اللسانية لا توحّد بين شيء واسم، وأنّما بين مفهوم وصورة سمعية، والعلامة اللّسانية هي إذن كائن ذهني ذو وجهين "[2].

وللرمز دلالتان : دلالة حقيقية ، ودلالة مجازية ، بينما العلامة اللغوية لا تحمل إلا دلالة مجازية ؛ وهذا الفارق يتجلى في العلاقة بين الدّال والمدلول؛ فالرمز ليس فارغاً تماماً، حيث أنّ هناك علاقة طبيعية بين الدال والمدلول : فالميزان رمز العدالة ولا يمكن أبداً تبديله بالدبابة مثلاً [3] على عكس العلامة اللغوية التي لها وجه مادي يمكن ملاحظته ووصفه وتسجيله، و وجه معنوي : "...فالكلمة وسيط بين أفكارنا وتجاربنا ؛ فهي ترتّبها وتنقلها من طابعها الذاتي إلى تجارب يدركها الآخرون "[4] .

---

[1]– أحمد مومن ، اللسانيات النشأة والتطور، ص، 127.

[2] – Ferdinand de Saussure, cours de linguistique générale, éd payot, paris, 1964, -[2]

[3] – Ibid., p 100- 101.

[4] Émile Benveniste, problème de linguistique générale, éd gallimard, paris, 1966, p - (وإميل بنفينيست 1902– 1976 هو لساني فرنسي معاصر) . ص 26–27

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

1 العلاقة بين الألفاظ والأشياء :

1/أ. العلاقة ضرورية :

فاللفظ يطابق ما يدل عليه في العالم الخارجي، وأساس هذه الرأي نظرية محاكاة الإنسان لأصوات الطبيعة، وبسبب تطور الحياة وتعقدها أبدع الإنسان كلمات وألفاظا جديدة ليدل بها على الأشياء [1].

وهذا ما دافع عنه بعض اللغويين المعاصرين بمحاولة إثبات الترابط الوثيق بين الدّال والمدلول في العلامة اللّسانية، من حيث " ..**إن العلاقة بين الدال والمدلول ليست اعتباطية بل هي على عكس ذلك علاقة ضرورية** " [2]. وتبرير ذلك أنّ العلامة اللّسانية بنية واحدة يتّحد فيها الدّال بالمدلول، وبدون هذا الاتحاد تفقد العلامة اللسانية هذه الخاصية. ومن جهة ثانية فذهن الإنسان لا يستسيغ ولا يقبل الأصوات التي لا تحمل تمثلاً (أو شيئاً) يمكن معرفته، فلو كان الأمر كذلك – أي وجود أصوات لا تدل على شيء ولا تحمل مفهوماً يمكن التعرف عليه – تصير غريبة ومجهولة.

---

[1]– و من هؤلاء أفلاطون (427 – 347 ق م) الذي عبّر عن رأيه في محاورة (كراتيل) من خلال حوار أجراه على لسان سقراط (469 ــ 399 ق.م) .[انظر :
Platon, cratyle, Garnier frères, paris, collections Gf, traduction: E . chambray, baccou, p 391].

Émile Benveniste, problème de linguistique générale, éd gallimard, .[2] .paris, 66

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

لكن هذه الأطروحة تصطدم ببعض الحقائق التي أقرّها علماء اللغة، أولها أنّ اللغة خاصة (الكلام) نسق من الإشارات والرموز التي أبدعها الإنسان وتواضع عليها ليستخدمها في التعبير والتواصل ؛ فلو كانت الكلمات تحاكي الأشياء، فكيف يمكن تفسير تعدد الألفاظ والمسمّيات لشيء واحد، والادّعاء في نفس الوقت أنّ العلاقة بين الاسم والشيء ضرورية ؟

1/ب. العلاقة اعتباطية :

إن العلامة اللسانية لا توحد بين اسم وشيء بل بين مفهوم وصورة سمعية . ولعلّ المثال الآتي يوضح ذلك : فكلمة (أخت) هي تتابع للأصوات التالية: (أ ، خ ، ت) وهذا هو الدّال ، أما المدلول فهو معنى (الأخت) ، لذلك لا توجد ضرورة عقلية أو تجريبية فرضت على اللغة العربية مثلاً التعبير عن هذا المعنى بهذه الأصوات، بل تمَّ اقتراحها دون مبرر ؛ وهذا ما يسمى بالتواضعية الاعتباطية أو التحكمية (العفوية) .

والدليل الثاني الذي يبرر صحة هذا التحليل أنّ نفس المعنى (معنى الأخت) يعبر عنه في لغات أخرى بتتابع أصوات أخرى، فمثلا في الفرنسية نقول (Sœur) ، وفي الإنجليزية نقول (sister) ؛ فلو كانت العلاقة ضرورية لما تباينت الأصوات، بل لما تعدّدت اللغات بين المجتمعات، وهذا التنوع في اللغات يثبت اعتباطية العلامة اللّسانية.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

لكن يجب أن ننبّه إلى أنّ الاعتباطية لا تعني أنّ الفرد له حرية في وضع العلامات واستعمالها حسب هواه، بل يتقيّد ذلك بالاستعمال الاجتماعي، إذ لا يمكن للفرد أن يشير إلى فكرة (الأخت) بأصوات أخرى من وضعه هو دون أن يكون متفق عليها داخل المجتمع وفي حدود ما يسمح به اللّسان (لغة المجتمع) .

يلزم من هذا التأكيد على أنّ اللغة نشاط رمزي **العلاقة فيه بين الأسماء والأشياء غير ضرورية**، وبواسطته يتمثل الإنسان الواقع دون الحاجة إلى إحضاره في شكله المادي والتقيد به، حيث يتجاوز باللغة وجوده المادي [1].

[1]– وهذا ما قصده الفيلسوف الألماني المعاصر أرنيست كاسير (E.Casserer 1874–1945) حينما ذكر أنّه بقدر ما يتقدم النشاط الرمزي بقدر ما يتراجع الواقع المادي .

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

2 تبادلية اللغة والفكر:

الوضعية المشكلة:

لابد أنّ بعضنا مرَّ بالتجربة التالية : وهي التردد أثناء كتابة رسالة أو مقالة، فنتوقف أثناء التعبير لنفكر أي الكلمات تناسب المعنى الذي يجول بخاطرنا، كما قد نعدل عن بعض العبارات فنشطبها أونغيرها بأخرى تبدو لنا مناسبة، بل قد يعتذر البعض عن خطابه فيراه قاصراً خانته فيه الألفاظ وقصرت الكلمات عن تبليغ المعاني أو المشاعر . وهنا نتساءل: ما الفكر ؟ وهل هو مستقل عن اللغة ؟ أم لا يمكنه أن يوجد خارجاً عنها لأنّهما شيء واحد ؟

ــ تحليل الوضعية :

يجمع النّاس على أنّهم مرّوا ويمرون في حياتهم بهذه التجربة، لذلك يسارع البعض منا إلى اتهام اللغة بالقصور ويفصلون بينها وبين الفكر. لكن المتأمل لهذه التجربة وغيرها قد يتبيّن أمراً آخر وهو أنّ الخلل لا يعود لقصور اللغة بقدر ما يتعلق بالشخص الذي لا يملك ثروة لغوية

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

كافية تسمح له بالتعبير وتبليغ المعاني، بل ذهب بعض المحللين إلى القول بأنّ عدم القدرة على التعبير ترجع لعدم وجود فكرة أصلاً [1].

ويمكن اعتبار " ..الفكر بوجه عام جملة النشاط الذهني من تفكير وإرادة ووجدان وعاطفة، وبوجه خاص ما يتمّ به التفكير من أفعال ذهنية كالتحليل والتركيب والتنسيق "[2].

ومن هنا يظهر الطابع المعقد للفكر من حيث أنّه نشاط عقلي تتشابك فيه القدرات العقلية العليا من إدراك وتخيل وتذكر وتحليل وتركيب وتأويل ؛ فالتفكير بوصفه عملية عقلية يعتمد على أدوات هي المعاني، ويقابلها في اللغة الألفاظ والصور اللفظية.

2/ أ. الفكر منفصل عن اللغة :

قد يميل البعض منّا إلى الفصل بين الفكر واللغة، بالقول بأسبقيته (الفكر) عليها (اللغة)، الأمر الذي يجعله أكثر أهمية منها لأنّها مجرد أداة في يده وتأثيره عليها إيجابي.

ويستند هذا الموقف إلى عدّة مبررات منها :

---

[1]– ذكر زكي نجيب محمود (1905– 1993) المفكر العربي المعاصر أنّ من يزعم أنّ في ذهنه أفكاراً عجزت اللغة عن توصيلها فهو واهمٌ ويخدع نفسه، لأنّ الفكرة لا توجد خارج العبارة وبدونها .

[2]– إبراهيم مدكور، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، القاهرة ، 1983، ص ــ 137 .

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

– أن اللغة محدودة و تتجلى محدوديتها في مستويين هما :

– التعبير عن الأشياء الخارجية : فاللغة وسيط بين الإنسان والأشياء الموجودة في العالم الخارجي، فعندما تريد الحديث عن (الشجرة) يكفيك أن تنطق بهذه الكلمة ليستحضر السامع معناها ولا تضطر لإحضارها له.

– التعبير عن الذات : فمشاعر الإنسان نابضة بالحيوية ولا يوجد في اللغة ما يُمَكّن من أن ننقل هذه المشاعر فيحس بها الآخرون كما نحسها نحن. فاللغة لا تنقل من المشاعر إلاّ جانبها العام غير الشخصي، وهذا ما يجعلها عائقاً أمام وعي الإنسان لذاته.

وقد تؤدي الألفاظ إلى قتل المعاني وتجمّد حيويتها وحركتها، بينما المعاني مبسوطة ممتدة وغير نهائية بل تتطور أسرع من الألفاظ ؛ فالفكرة أغنى من اللفظ إذ يمكن التعبير عنها بألفاظ مختلفة ، بينما الألفاظ معدودة ومحدودة، بل قيمتها لا تكون إلاّ من خلال ما تنطوي عليه من معانٍ ومفاهيم وتصوّرات.

لكن هذا الرأي بالغ في تمجيد الفكر والتقليل من شأن اللغة، الأمر الذي جعل الفكر نشاطاً أخرساً؛ وهذه النتيجة لا تؤكدها معطيات علم النفس الذي أثبت أنّ الطفل يتعلم الفكر واللغة في آن واحد، لذلك قال "هيجل" : " نحن نفكر داخل الكلمات"، وإلى نفس الاتجاه ذهب "غوسدروف" حيث قال : "..التفكير ضاجٌّ بالكلمات"[1].

[1]– أحمد محمد المعتوق، الحصيلة اللغوية، مجلس الثقافة والفنون والآداب، الكويت، 96، ص ص 34

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

2/ ب.الفكر واللغة متّصلان :

إن الألفاظ توضح المعاني وتميزها عن بعضها البعض وتصبغ عليها صبغة منطقية، فلو سلمنا جدلاً مع أنصار الاتجاه الثنائي أنّ الأفكار أحوال معنوية مستقلة عن الألفاظ لكانت أحولاً غامضة مبهمة ولما تمكنا من معرفتها والتمييز بينها، فبدون اللغة لا تدرك المعاني ولا تعرف[1].

أما عن اتهام اللغة بالقصور والعجز عن الإلمام بنواحي الفكر، فيكفي أن نعلم أنّ الألفاظ تحفظ المعاني وتُبقي عليها وبدونها لزالت عن الوجود لهذا اعتُبرت الألفاظ حصون المعاني، ومهمة الحصن الحفظ والصون، كما أن اللغة تثري الفكر؛ فقد أثبت علم النفس أنه كلما اتسعت ثروة الفرد اللغوية ، زادت قدرته على التفكير والتعبير، وبذلك ينمو الذكاء وتزداد نسبته [2].

ليس هذا فحسب، بل أن اللغة تصبغ الفكر بصبغة اجتماعية موضوعية تنقله من طابعه الانفعالي الذاتي، ليصير خبرة إنسانية قابلة للتحليل والفهم والانتقال بين النّاس.

---

[1]– هذا ما ذهبت إليه اللسانية جوليا كريستيفا (نفسانية ولسانية فرنسية من أصل بلغاري ولدت عام 1941) حيث اعتبرت اللغة الطريقة الوحيدة التي يمكن أن يوجد بها الفكر، بل هي حقيقة وجوده ، حيث قالت : «إنّ اللغة هي جسم الفكر » ، وهذا نفسه ما قصده ميرلو بونتي (فيلسوف فرنسي 1908–1961) بقوله : «الفكرة تؤخذ من العبارة والعبارة ما هي إلا الوجود الخارجي للفكرة ». المصدر نفسه .

[2]– أحمد محمد معتوق ، المرجع نفسه ، الموضع نفسه . وقد أكد على ذلك النفساني السويسري "جان بياجي" (1896– 1980) الذي اعتبر اللغة مساعدة لنمو ذكاء الطفل و بها يتعلم و يبتكر الأفكار .

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

إن الاعتقاد بوجود نشاط فكري بدون لغة هو مجرد توهّم لأنّه في الحقيقة (مونولوج)[1] داخلي بين الذات ونفسها؛ إذ "..عندما نفكر فنحن نتكلم بصوت خافت، وعندما نتحدث فنحن نفكر بصوت عالٍ "[2]، وبذلك فاللغة هي ذاتها الفكر .

وعلى ضوء ما سبق ، ومهما تحفظ البعض من مسألة التوحيد بين اللغة والفكر واعتبارهما شيئا واحدا ، وبالرغم من أن اللغة قد تقصر أحياناً عن التعبير عن الأفكار بناء على أن قدرتنا على الفهم لا تناسب دائماً قدرتنا على التبليغ [3]، إلا أنه لا بدّ من التسليم بوجود علاقة ترابط بين الفكر واللغة، وهذا ما تؤكده الدراسات والأبحاث العلمية اللّسانية؛ وهذه العلاقة تشبه العلاقة بين وجه الورقة النقدية وظهرها،حيث "إنّ الفكر هو وجه الصفحة ، بينما الصوت هو ظهر الصفحة ؛ ولا يمكن قطع الوجه دون أن يتمّ في الوقت نفسه قطع الظهر،وبالتالي لا يمكن، في مضمار اللغة،فصل الصوت عن الفكر، أو فصل الفكر عن الصوت"[4].

---

[1]– حوار داخلي ذاتي وحديث يتوجه به المرء إلى نفسه. وفي المسرح هو عبارة عن دور يؤديه ممثل واحد يعرض فيه مشاعره و أفكاره لينقد أو يسخر من مواقف اجتماعية أو أوضاع غير مقبولة .

[2]– أحمد معتوق ، المصدر نفسه ، ص ــ 32 .

[3]– المرجع السابق، ص ، 33. من ذلك أن ديكارت (ت 1650) اعتبر اللغة مجرد أداة للتعبير عن الأفكار ولم يعتبرها هي الفكر في ذاته ، لأنّ الأخرس لا يمتلكها لكن هذا لا يمنعه من التفكير، وكذلك رفض "وايتهيد " اعتبار اللغة جوهر الفكر وماهيته .

[4] ــ دو سوسير، محاضرات في علم اللغة العام ، نقلا عن المرجع السابق ، الموضع نفسه .

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

3 وظائف اللغة :

3/أ. التبليغ والتواصل الاجتماعي :

أ – مفهوم التواصل :

إن التواصل في اللغة مأخوذ من الصلة، والتواصل اصطلاحا : هو تبادل الحقائق والأفكار والمشاعر بين شخصين أو أكثر بمختلف وسائل الاتصال وأخصها (الكلام). وفي العرف العام هناك فرق بين الاتصال والتواصل، فالاتصال يعني توجيه رسالة من طرف لآخر دون تلقي أي ردّ عليها، كما هو الحال في المحاضرات التي لا يشارك فيها أحد من المستمعين، أو خطب الأئمة للمصلين، أو خطب الرؤساء للجماهير، بينما التواصل يعني أن يكون هناك حوار وتبادل للآراء والأفكار، فالتواصل هو تفاعل بين أطراف و يشترط أن يعترف كل طرف في عملية التواصل بالطرف الآخر على أنه ذات لها من المؤهلات في استقبال الرسائل و فكّ رموزها و الرد عليها و دون هذا الاعتراف تتوقف عملية التواصل.

إنّ الحياة تفرض على الذات أن تقيم علاقات مع ذوات الآخرين وتتبادل معهم التجارب. و بهذا لا تكون الذات منعزلة و مكتفية بذاتها، و حالات التوحد و الانعزال، هي حالات مرضية. إن الإنسانية لا تتحقق في الأفراد إلاّ بقدر تواصلهم انفتاحهم على الغير ومشاركته. و قد دلت ملاحظة الأطفال المتوحشين أن هؤلاء يفتقدون لمقومات الإنسانية بسبب

بعدهم هن المجتمع و بالتالي انقطاع حبل التواصل مع الغير. و اللغة هي ضامن لهذا التواصل، و لا نقصد باللغة هنا العلامات اللسانية فقط، بل الحركة، و الإيماءة و الصورة، و كل ما يستخدمه المتحاورون أثناء عملية التواصل ويضمن في الوقت نفسه تبليغ المقاصد بين أطراف الحوار.

3/ب. شروط التواصل :

حتى يتمّ التواصل بين الأشخاص لابد من مقوِّمات و عوامل[1] أبرزها :

– **السياق** : وهو جملة الشروط الموضوعية والذاتية تبرر التواصل وتجعله ممكن، لأن التواصل ليس عبثيا فله أسبابه وغاياته، فالسائح الذي يرغب في التعرف على خصوصيات المدينة التي يزورها مثلا، يوفر له جهله بالمدينة و رغبته في التعرف عليها شروط التواصل مع بعض أفراد أهل هذه المدينة.

– **المرسِل** : وهو الطرف المنتج أو المبلغ للرسالة ؛ (يكون شخصاً أو جماعة أو هيئة) .

– **المتلقي**: وهو المرسل إليه أو المتلقي للرسالة ؛ (يكون أيضا شخصاً أو جماعة أو هيئة) .

---

[1]– ميشال زكريا، الألسنية علم اللّغة الحديث ، المبادئ والأعلام ، ط2 ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت ، ص ــ 235– 236 . وهذه المقومات والعوامل حدّدها عالم اللسانيات الروسي المعاصر رومان جاكبسون (1896– 1982) .

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

– **الرسالة** : وهي الخطاب الذي يوجهه المرسل إلى المتلقي.

– **المرجع** : وهو الموضوع الذي تتمحور حوله الرسالة وتسعى إلى تبليغه .

– **روابط الاتصال** : أو ما يطلق عليه بقنوات الاتصال سواء كانت مادية أو نفسية .

– **الشفرة** [1] : أي النظام الرمزي المشترك بين المرسل والمتلقي، فقد يكون كلاماً أو إشارات يدوية أو إشارات بصرية أوإيماءات أو لافتات [2].

3/ج. وظائف اللغة

إنّ وظيفية اللغة باعتبارها في الأساس وسيلة تعبير وتفاهم وتواصل فقط لا يحلّ المشكلة، إذ ثمة تنوع في وظائفها لا يتوقف عند هذا الحدّ . ومن أهمّ هذه الوظائف[3] :

– **الوظيفة النفعية** : اللغة تسمح للإنسان بإشباع حاجاته سواء البيولوجية الغريزية، أو النفسية الانفعالية، فالواحد منا لو شعر

---

[1]– أو Code = نظام ترقيم خاص، أو نظام تسلسلي سري لكلمات أو أحرف أو رموز .. الخ .

[2]– وهذا ما يفسّر عجز الصيني عن فهم العربي عندما يكلمه بسبب اختلاف النظام الرمزي المستعمل في الاتصال، الأمر الذي يجعله غير ممكن.

[3]– جمعة سيد يوسف، سيكولوجيا اللغة والمرض العقلي، ص ــ 21– 22 .

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

بالجوع أو العطش لأمر من حوله بأن يناوله الغذاء أو الماء ، كما أنّه يخبر بحاجة للراحة أو الترفيه عن النفس.

- **الوظيفة الشخصية** : اللغة وسيلة يعبر بها الشخص عن ذاته وهذا ما يسمح للغير بمعرفته والتعرف على اهتماماته وتطلعاته، فيكوّنون فكرة عنه، ليس هذا فحسب بل بها يثبت الشخص ذاته . وهذا ما نجده عند كبار الأدباء والمفكرين.

- **الوظيفة التفاعلية** : اللغة تستخدم للتفاعل مع الآخرين في المحيط الاجتماعي، ومن ثمة يتم تبادل الآراء والأفكار بل كثيراً ما تتناقل المشاعر أثناء الحوار فيواسي النّاس بعضهم البعض أو يشارك بعضهم الآخر الأفراح والأحزان .

- **الوظيفة الاستكشافية** : اللغة وسيلة الإنسان للتعرف على محيطه طبيعياً كان أم اجتماعياً حيث أنّه يسأل عن أسماء الأشياء ومكوناتها ووظائفها وكيفية استخدامها ؛ وعن الظواهر الطبيعية وأسباب حدوثها والقوانين المتحكمة فيها .

- **الوظيفة التنظيمية** : اللغة تنظم سلوك واستجابات الآخرين من خلال الأوامر والنواهي التي نصدرها للطفل أثناء التربية توجّه سلوكه وتنظمه؛ ولعلّ لافتات وإشارات المرور خير ما يثبت ذلك، حيث أنّها إشارات اصطلاحية وضعها الإنسان لينظم استجابات السائقين من خلال الأوامر والنواهي التي تحملها .

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

- **الوظيفة التخيلية** : اللغة نسق من الرموز يجرد الواقع المادي في كلمات تغنيه عن إحضارها، ليس هذا فحسب بل تعطي اللغة الفرد القدرة على الانفلات من الواقع والهروب من ضغط الحياة اليومية من خلال ما يتخيله في القصص أو الأشعار أو أحلام اليقظة .

- **الوظيفة الرمزية** : وخير مثال على ذلك الرياضيات التي تتعامل بكائنات عقلية مجردة يتم إدراكها من خلال رموز يضعها الإنسان، بل أن علماء الطبيعية يجرّدون الظواهر المادية المحسوسة من حركة، وحرارة، وضوء، وتفاعلات كيميائية، ومعادلات؛ ويتعاملون بها أثناء البحث والدراسة.

- **الوظيفة الإخبارية** : اللغة تنقل المعلومات إلى الآخرين سواء كانت أحداثاً سياسية، أو اجتماعية، أو طبيعية ؛ وهذا ما تضطلع به اليوم وسائل الإعلام حيث تتناقل يومياً ما يجري في العالم، الأمر الذي يمنحها القدرة على التأثير في الجمهور وتوجيه الرأي العام .

حل المشكلة

مما تقدّم نخلص إلى أنّ الحديث عن اللغة هو في الحقيقة حديث عن الإنسان؛ فهي خاصته التي تميزه بالرغم مما يتراءى في عالم الحيوان من إرهاصات بدائية للتواصل، ليس فقط لكون هذه الإرهاصات غريزية وبيولوجية صرفة، بل لخلوّها من الطابع الفكري، الذي هو عند الإنسان من التعقيد بحيث يصعب فصله عن اللغة ذاتها ؛

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

وذلك لاشتراكهما في التركيب والدلالة والرمز. ويبقى التواصل بأوسع معانيه فضلا عن الوظائف النفسية والمنطقية أبرز ما تحققه اللغة كغاية كبرى حفظت – ولا تزال تحفظ- للإنسانية تراثها الثقافي والحضاري على مرّ العصور .

الخلاصة:

- اللغة هي نسق من الرموز والإشارات التي يستخدمها الإنسان في التواصل والتعبير والتبليغ، وقد يستخدمها في الترويح والمتعة والعبث. وهي تختلف عن اللسان والكلام في كونها أكثر تجريدا و بهذا يكون اللسان هو اللغة التي تستخدمها جماعة متميزة، في التعبير والتواصل. و من ثم فهو يمتلك وجودا اجتماعيا مستقلا عن الأفراد الذين يتكلمونه. أما الكلام فهو الممارسة الفردية المنطوقة، إنه القدرة على التفاهم بين الأفراد عن طريق علامات صوتية تتيحها لغة محددة .

- خصائص اللّغة (اللسان):إنّها إنسانية لأنها تشترط قدرا من الوعي والإبداع والقدرة على التبليغ القصدي.إنها أداة تبليغ و إبداع الأفكار و الصور.إنها اجتماعية لكونها أداة تبليغ فإنها تشترط على الأقل طرفين مرسل ومرسل إليه ، واجتماع شخصين هي بداية الحياة الاجتماعية .

- عناصر اللغة: تتألف اللغة من رموز و إشارات منظمة اجتماعيا. عناصر الرمز و الإشارة : الدال : هو شيء يوضع مكان شيء يحيل إليه . المدلول : هو ما يستدعيه الدال في الذهن من صور و معاني

http://www.onefd.edu.dz

. الدلالة : و هي العلاقة ين الدال و المدلول و تكون في الرمز اعتباطية و في الإشارة طبيعية . المرجع : هو الشيء الواقعي الذي يشير إليه الدال.

- أنواع الدلالة: يمكن التمييز بين الدلالة الطبيعية و الدلالة التعاقدية_(اعتباطية)، أما الأولى فهي ثابتة و تلقائية، في حين أنّ الأخرى متغيرة و قصدية. الأولى عنصر في الإشارة و الثانية عنصر في الرمز. و لكون الدلالة متغيرة في الرمز فيمكن التمييز بين أنواع منها. دلالة المطابقة و دلالة التضمن و دلالة الالتزام.

- طبيعة الدلالة: رغم أن هناك من يعتقد (بنفنيست) أن" ... العلاقة بين الدال والمدلول ... علاقة ضرورية " فإنها في الحقيقة كما قال "دوسوسير" :اعتباطية وغير ضرورية، وبواسطته يتمثل الإنسان الواقع دون الحاجة إلى إحضاره في شكله المادي.

علاقة اللغة بالفكر: إن اللغة من حيث هي وسيط قد لا تنقل مشاعرنا بل و هي لا تنقل إلاّ جانبها العام غير الشخصي، و مع ذلك، لا يمكن تصور وجود فكر أو علاقات إنسانية دونها، أنّ الألفاظ تحفظ المعاني وتبقي عليها فهي حصون المعاني كما قيل.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

- **علاقة اللغة بالفكر:**

أطروحة أصحاب الاتجاه الثنائي: يذهب أصحاب هذا الطرح إلى اعتبار أنّ اللغة و الفكر منفصلان. و اللغة ليست سوى أداة، وأداة قاصرة لا تخدم الفكر إلاّ جزئيا. بل هي على ما يرى برغسون تحجب الفكر والواقع.

أطروحة أصحاب الاتجاه الأحادي: يذهب أصحاب هذا الطرح إلى النظر للغة و الفكر على أنّهما وحدة متآلفة و مظهرين لوجود واحد. يقول دوسوسير" اللغة شبيهة بورقة ، الفكر وجهها و الصوت قفاها " و يقول زكي نجيب محمود "الفكر هو التركيب اللفظي أو الرمزي لا أكثر و لا أقل.

– وظائف اللغة : وهي ترتبط بالعقل والإرادة وتتصف بالقابلية للتحليل والتركيب والتداول و لهذا فإنها بعدد محدود من الرموز والإشارات تستطيع أن تنقل عدد لا محدود من الرسائل. وتستخدم اللغة الإنسانية في التعبير(عن الأفكار والمشاعر والعلاقات) والتوجيه والأمر و المؤانسة و الترويح.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

تطبيق: ــ مقالة فلسفية

I تدريب على المقالة الفلسفية : ــ

أيها الطالب؛ لقد طالعت في مقدمة الإرسال أن الهدف من تعليم الفلسفة هوإكساب التلميذ جملة من الكفاءات التي تسمح له بممارسة عملية التفلسف؛ و لعلّك قد اكتسبت آليات التفكير المنطقي و هي **ضرورية** لهذا العمل الفكري الجاد و المعقد ؛ و**فعل التفلسف** كما تمت ممارسته ؛ في الدروس ليس إحصاءا للمنظومات المعرفية الفلسفية التي ظهرت للوجود عبر التاريخ و ليس تعدادا لما قد نعثر عليه في هذه المنظومات الفلسفية من حكم خالدة أبدية أوحلول نهائية فيما يتعلق بالقضايا المدروسة؛ بل فعل التفلسف يكمن جوهره ــ أخي الطالب ــ في **الأشكلة** أي في عملية تحويل السؤال إلى مشكل، وهي العملية الأساسية في التفكير الفلسفي **أي القدرة على استخدام العقل في معالجة القضايا المطروحة أمامك؛ بعيدا عن الأحكام المسبقة والتفكير غير المؤسس معرفيا ومنطقيا.**

فليس المطلوب امتلاك الحقيقة ، بل البحث عنها و السعي إليها بقدر طاقة الإنسان و بأساليب منهجية محددة المنطلقات و الغايات والنتائج؛ و هذا ما يميّز الناس بعضهم عن بعض في تناول هذه الموضوعات. و لعلك ؛ أخي الطالب؛ ستتعرف على مجموعة من طرق معالجة المقالة الفلسفية بصورة تدريجية لتتدرب عليها استعدادا

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

لامتحان البكالوريا. و عليك بالاستعانة بما درسته في المشكـــلة الجزئية الأولى حول المشكلة و الإشكالية و السؤال الفلسفي و خصائصه ؛ و **للتذكير** نقول أن السؤال الفلسفي يتميز بما يلي : ــ

1 ــ يتضمن مفاهيم فلسفية ؛

2 ــ أنه يثير إشكالا يقبل المعالجة الفلسفية و لا يقبل الحل اليقيني و القطعي؛ بمعنى أنّه يتضمن تعارضا بين أطروحات و مواقف من قضية ما ، كما أن الإجابة النهائية و القطعية غير ممكنة فيه ، و هذه طبيعة القضايا الفلسفية بالماهية ؛ و عندما تقبل الحلول النهائية فحتما أنّها تخرج من دائرة الفلسفة ؛

3 ــ أنه يدور حول حقيقة الشيء أو أصله أو علته ؛ أو وضعية مشكلة.

أ ــ حول حقيقة الشيء : أي البحث في الخصائص و المميّزات التي تحدد ماهية الموضوع المسؤول عنه و تميّزه عن غيره.

ب ــ حول علة الشيء : أي حول وجود الشيء أو عدم وجوده و تحديد العلاقة السببية بين طرفين و إثباتها أو رفعها ؛ و هذا ما يعرف بتبرير تصديق أي حكم ما، كأن نقول أصل المفاهيم الرياضية التجربة ، ما الذي يبرر هذا الحكم ؟

ج ــ وضعية مشكلة تقبل التبرير بالإثبات أو النفي، أي للدفاع عنها أو تفنيدها، و تطبيق منهجية الاستقصاء بالوضع أو الرفع .

(شروط السؤال الفلسفي في كتاب السنة الثانية من التعليم الثانوي).

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

طرائق معالجة المقالة الفلسفية : ــ

(1) الجدلية و المقارنة

المحطات	الطريقة الجدلية	طريقة المقارنة
طرح المشكلة	احتمال وجود رأيين جدليين متناقضين	احتمال وجود مواطن تشابه بين طرفين مختلفين
محاولة حل المشكلة	الأطروحة	مواطن الاختلاف
	نقيضها	مواطن الاتفاق
	تركيب/تجاوز	طبيعة العلاقة بينهما
حل المشكلة	الفصل في المشكلة المتجادل فيها	الفصل في المشكلة موضوع المقارنة

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

(2) الاستقصاء و تحليل نص

المحطات 3	الاستقصاء بالوضع	الاستقصاء بالرفع	الطريقة التحليلية في دراسة النص
طرح المشكلة	المطلوب الدفاع عن رأي يبدو غير سليم	المطلوب إبطال رأي يبدو سليما	تحديد وتعليق المشكلة التي يحتمل أن يكون النص معالجةً لها
محاولة حل المشكلة	عرض منطق الأطروحة	عرض منطق الأطروحة	تحليل محتوى النص
	تدعيم الأطروحة بحجج شخصية	إبطال الأطروحة	تقويم النص
	نقد خصوم الأطروحة	نقد أنصار الأطروحة	بناء رأي شخصي يساهم في معالجة المشكلة
حل المشكلة	التأكيد على مشروعية الدفاع	التأكيد على مشروعية الإبطال	موقع الرأي المؤسس حول المشكلة

http://www.onefd.edu.dz
جميع الحقوق محفوظة ©

ملاحظة : 1 ــ بالنسبة للجزأين الثاني و الثلث من طريقتي الاستقصاء يمكن تقديم و تأخير أحدهما عن الآخر.2 ــ و سنقترح عليك، أخي الطالب، مجموعة من المقالات الفلسفية لتدريبك على كيفية تطبيق هذه الطرق و اكتساب آليات تحرير المقالة الفلسفية.

II تطبيق :

هل نستخدم اللغة من أجل الكلام أم من أجل التفكير؟

تفكيك الموضوع:

هل: أداة استفهام يسأل بها عن الوجود والجواب عنها قد يكون بالإثبات أو النفي.

نستخدم: نستعمل والمستعمل هنا هي اللغة وبالتالي فإن الموضوع يفترض أنها أداة/ وسيلة

من أجل: لفظ استخدم لتحديد الغاية أو الهدف.

الكلام: يجب التميز بين اللغة و الكلام و إلا أصبح السؤال دون موضوع: اللغة تختلف عن الكلام في كونها واقعة اجتماعية ثابتة بينما الكلام عمل فردي متغير – اللغة نتاج يرثه الفرد بينما الكلام عمل إرادي يقوم به الفرد يتطلب قدرات خاصة – اللغة تمثل الجانب الاجتماعي من الكلام لذا فهو غير قادر على تعديلها وتغييرها. الكلام إذن هو نشاط فردي يؤديه المتكلم من خلال جملة من الأصوات

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

التفكير:يجب عدم الخلط بين الفكر و التفكير،فالأول يقال على المنتوج الثقافي للفرد أو الجماعة ويُقال أيضا على الملكة التي نستخدمها أثناء التفكير. أما التفكير فهو النشاط العقلي الاستدلالي الذي نستخدمه أثناء قيامنا بحل مشكلات نظرية أو عملية.

إعادة صياغة الموضوع:

هل غاية اللغة أن تكون أداة للكلام أم أن تكون أداة للتفكير؟ هل وجدت اللغة كي نتكلم بها أم كي نفكر بها؟

- لاحظ أن صياغة المشكلة تمّ بما حددناه أثناء التفكيك. وهذا يعني أن التفكيك يساعدك على صياغة المشكلة دون الخروج عن الموضوع المراد معالجته.

******

مخـــطط الحـــل

طرح المشكلة:

- **المسلمة** : يبدو لأول وهلة أن اللغة وجدت من أجل استخدامها أثناء الكلام، ولعل هذا ما دفع بالعامة إلى الخلط بين اللغة و الكلام.
- **إبراز التعارض:** لكن في مقابل ذلك يربط بعض الفلاسفة (الاتجاه الأحادي) بين اللغة والتفكير ربطا عضويا، ومن ثم تكون اللغة قد وجدت التفكير.

http://www.onefd.edu.dz

– **صياغة السؤال:** هل وجدت اللغة كي نتكلم بها أم كي نفكر بها؟

محاولة حل المشكلة:

- **الأطروحة الأولى:**

- وجدت اللغة كي يتكلمها الناس، فيتواصلون بها و يعبرون عن مشاعرهم و حاجاتهم وأفكارهم، و لم توجد من أجل أن يفكروا بها. (لا تخلط بين أن تكون اللغة أداة تعبير عن الأفكار و أداة تفكير/ في الحالة الأولى تكون وسيلة نقل و في الحالة الثانية تكون أداة إنتاج للأفكار).

- **البرهنة:**

1– تحليل موقف أصحاب الاتجاه الثنائي: اللغة و الفكر (من حيث هو ملكة للتفكير) منفصلان و الفكر عندهم يسبق اللغة و هذا يعني أن المرء قد يفكر و ينتج أفكارا دون لغة ، و أنه لا يحتاج للغة إلا عندما يريد أن يوصل أفكاره للآخرين و يتواصل معهم بالكلام و غيره. و أنه يشعر بعجزه و فقره اللغوي عندما لا يتمكن من تبليغ أفكاره للآخرين، لهذا تجده يتردد في انتقائه للكلمات و ترتيبها أما الفكرة فهي تامة عنده. و لو كانت اللغة تنتج الأفكار لا استحال أن تعجز عن تبليغها لأن الألفاظ ذاتها التي بعثت الفكرة في ذهن من فكر تبعثها في ذهن من يسمع الخطاب.

2– الكلام هو الممارسة الفردية للغة، وللكلام بنية و شروط.

http://www.onefd.edu.dz © جميع الحقوق محفوظة

أما بنيته فهو يتألف من، (أ) الفونيمات (Phonème) و (ب) المورفيمات (Morphème) ومن الفونيمات و المورفيمات يكوّن الإنسان تركيبات لانهائية من الرموز والكلمات ، لها دلالات متعدّدة حسب سياقها تسمح للإنسان بالتعبير عن أغراضه.

و أما شروطه فهي، ❶ وجود لغة محدّدة / أي اللسان (كالعربية أو غيرها). ❷ وجود قدرة على التعبير. ❸ الصحة النفسية و سلامة الأعضاء المستخدمة في الكلام و الإلمام بالمفردات والكلمات وقواعد التراكيب اللغوية ، حتى يتحقق التواصل. و من هذا يتضح أن اللغة وجدت من أجل الكلام بغرض التبليغ و التواصل.

- مناقشة:

- لو كانت اللغة أداة للكلام فقط كما يزعم أصحاب هذا الاتجاه، لكان للأطفال أفكارا قبل أن يتعلموا اللغة، و هذا خلاف ما أثبته علم النفس الحديث، أي أن الأطفال يتعلمون التفكير في الوقت الذي يتعلمون فيه اللغة. كما أن الأطفال المتوحشون الذين عثر عليهم، كانوا أقرب للحيوان منهم للإنسان و لم يكونوا يمتلكون أفكارا حول الوجود و القيم بسبب افتقارهم للغة.

- **الأطروحة الثانية / (نقيض الأطروحة) :**

وجدت اللغة كي يستخدمها الناس في تفكيرهم. فاللغة هي شرط وجود التفكير. و لهذا فالفاقد للغة فاقد لما يلزم عنها من فكر.

البرهنة:

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

1. تحليل موقف أصحاب الأحادي: يعتبر كثير من الفلاسفة و علماء النفس والاجتماع، أن اللغة و الفكر وجهين لشيء واحد، و كلاهما شرط لوجود الآخر. فالألفاظ توضح المعاني وتميزها عن بعضها البعض وتصبغ عليها صبغة منطقية، و دون اللغة لا تدرك المعاني ولا تعرف.

2. و اللغة تحفظ المعاني لأن الألفاظ حصون هذه المعاني، و من جهة أخرى فهي تثري الفكر؛ فقد أثبت علم النفس أنه كلما اتسعت ثروة الفرد اللغوية، زادت قدرته على التفكير والتعبير، وبذلك ينمو الذكاء وتزداد نسبته و إلى هذا فهي تعطيه صبغة اجتماعية موضوعية تنقله من طابعه الانفعالي الذاتي، ليصير خبرة إنسانية قابلة للتحليل والفهم والتداول بين النّاس.

- مناقشة:

- إذا كان أصحاب هذا الاتجاه لا ينكرون أن اللغة أداة للكلام، فهم يجعلون مهمتها الأساسية في كونها أداة للفكر، و هذا في الحقيقة اختزال لمهام و وظائف اللغة. إن اللغة تقوم بجملة وظائف، و خدمتها للفكر ما هي إلا بعض وظائفها.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

- **التركيب:**

إنه لا يوجد تناقض حقيقي بين أن تكون اللغة قد وجدت ليستغلها الناس في الكلام وبين أن يستغلوها في إنتاج الأفكار، بل وجودها من أجل أحدهما هو في الوقت نفسه وجود من أجل الآخر. فاللغة إذن هي أداة للتفكير والكلام جميعا. وهذا لأن الكلام والتفكير متحدان"..عندما نفكر فنحن نتكلم بصوت خافت، وعندما نتحدث فنحن نفكر بصوت عالٍ " من جهة، ومن جهة أخرى فإن اللغة وجدت من أجل أن تضطلع بأكثر من وظيفة وظائف التبليغ و التواصل و وظيفة التفكير

– الوظيفة النفعية : اللغة تسمح للإنسان بإشباع حاجاته سواء البيولوجية الغريزية، أو النفسية الانفعالية (اللغة من أجل الكلام).

– الوظيفة الشخصية: اللغة وسيلة يعبر بها الشخص عن ذاته و يثبت بها ذاته (اللغة من أجل الكلام).

– الوظيفة التفاعلية: بواسطة اللغة يتبادل الناس الأفكار و يتشاركون في المشاعر و الوجدان (اللغة من أجل الكلام و التفكير).

– الوظيفة الاستكشافية : اللغة وسيلة الإنسان للتعرف على محيطه طبيعياً كان أم اجتماعياً حيث أنّه يسأل عن أسماء الأشياء ومكوناتها ووظائفها وكيفية استخدامها ؛ وعن الظواهر الطبيعية وأسباب حدوثها والقوانين المتحكمة فيها (اللغة من أجل الكلام و التفكير).

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

– الوظيفة التنظيمية : اللغة تنظم سلوك واستجابات الآخرين من خلال الأوامر والنواهي التي نصدرها للطفل أثناء التربية توجّه سلوكه وتنظمه (اللغة من أجل الكلام).

– الوظيفة التخيلية: تعطي اللغة للفرد القدرة على الانفلات من الواقع والهروب من ضغط الحياة اليومية من خلال ما يتخيله في القصص أو الأشعارأو أحلام اليقظة (اللغة من أجل التفكير). / وتكون أداة تنفيس للمكبوتات.

– الوظيفة الرمزية: تساعد على اختزال جملة من الكائنات المجردة في رموز لغوية مثل ما هو الحال في الرياضيات و الفيزياء..الخ (اللغة من أجل التفكير)

– الوظيفة الإخبارية: تستخدم اللغة كأداة لنقل المعلومات و ترويجها و هو الأمر الذي يمنحها القدرة على التأثير في الجمهور وتوجيه الرأي العام(اللغة من أجل الكلام).

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

حل المشكلة

- **الاستنتاج** : و من التحليل السابق يتضح أن اللغة لم توجد من أجل الكلام فحسب، أو لكي تكون أداة تفكير فقط.

- موقع المشكلة من الحل: و بهذا فإن التعارض الموجود بين الأطروحتين ليس من قبيل التناقض، الذي يلزم من صدق أحدهما كذب الآخر. و إنما هو كما قال الجابري:" الأطروحات المذكورة كلها محقة في ما تثبت غير محقة في ما تنفي ، فهي ليست من المسائل التي تخضع لمنطق (إما ... و إما) منطق الثالث المرفوع "

- الإجابة عن السؤال: إذن وجدت اللغة كي نتكلم بها و كي نفكر بها أيضا بالإضافة إلى الوظائف الأخرى التي وردت في التحليل.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©